

أبو الحسن القابسي ودوره في صياغة نماذج تربوية نهضوية

د. محمد عيسى الطيطي

أستاذ مساعد

كلية العلوم التربوية/ جامعة جرش

د. محمد حسن جرادات

أستاذ مشارك

كلية العلوم التربوية/ جامعة جرش

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى التعريف بالإمام القابسي ورسائله المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المتعلمين، ودوره في صياغة نماذج تربوية نهضوية، حيث جاءت هذه الرسالة في كثير من أفكارها متوائمة مع النظريات السيكلوجية الحديثة، مما يبعث على تأكيد الحاجة إلى قراءة نقدية لها تتيح فهم ما تضمنته من آراء تربوية ظهرت جلية في الفكر الحديث، رغم تناول الزمن عليها، ودورها في صياغة نماذج تربوية نهضوية في عصر مؤلفها، وقد مست هذه الرسالة جميع ما يسمى بأقطاب العملية البيداغوجية المتمثلة في المرابي والمرابي ومحتوى التعليم، والمحيط الذي يمارس داخله العمل التربوي، وجاءت هذه الرسالة التحليلية لآراء القابسي للإجابة عن السؤالين الآتيين:

ما الآراء التربوية للقابسي في أقطاب العملية البيداغوجية (المرابي، المرابي، المحتوى، المحيط الذي يمارس داخله المحتوى التربوي)؟

ما مدى التوافق بين آراء القابسي في أقطاب العملية البيداغوجية (المرابي، المرابي، المحتوى، المحيط الذي يمارس داخله المحتوى التربوي ونظريات التعلم والتعليم الحديثة)؟

واتبع الباحثان في هذه الدراسة المنهج التاريخي، الذي يقوم على الإحاطة بالمصادر التي تعالج فترة الدراسة وتحليلها واستخلاص الآراء التربوية المطروحة فيها، وإجراء مقارنة بين هذه الآراء وما جاء في النظريات السيكلوجية الحديثة.

مقدمة

تسعى النظم التربوية المعاصرة إلى تطوير التعليم والنظر إليه كمهنة لها أصولها وقواعدها الممارسة وأخلاقياتها، إلا أن عملية تحويل التعليم إلى مهنة ليست وليدة هذا العصر، ولا هي منبثقة عن الماضي، فقد كانت لها جذور راسخة وممتدة في أعماق التاريخ، ثم تطورت أصولها عبر العصور المزدهرة تارة بفعل عوامل القوة، ومنتكسة تارة بفعل عوامل الضعف والاضمحلال، حتى جاء العصر الحديث ليعمل على خلق حركة تحول تربوي شامل ومتقدم، لا يقتصر على مرحلة تعليمية أو نوع معين من التعليم (الرشدان، ١٩٩٤: ٩٦).

ويعتبر المعلم محور العملية التربوية وعصبها الرئيس الذي يتوقف عليه نجاح التربية في تحقيق أهدافها والوصول إلى غاياتها، ولكن بالرغم من إدراك الأقطار العربية لأهمية المعلم والمكانة التي يشغلها في العملية التربوية، ومحاولاتها المتعددة لإصلاح شأنه، فإنه لا يزال في وضع لا يحسد عليه، ولا تزال مهنة التعليم لا تجتذب النوعيات الممتازة القادرة على تحمل مسؤوليات إعداد جيل جديد، وتعاني عملية تكوين المعلم من غياب النظام المتكامل في الفلسفة والأهداف والتخطيط، إضافة إلى أن برامج الإعداد والتدريب لهذا المعلم لا زالت تقليدية لم تستطع بلورة السمات والمهارات التي تتطلبها المهنة في عصر التقدم العلمي والتكنولوجي (بشارة، ١٩٨٦: ٥-٦).

وعملية إعداد المعلم وتدريبه لم تبلور وتنضج في العصر الحالي بل تبلورت ونضجت وظهرت نماذج تربوية نهضوية في العصور القديمة، في المجتمع المصري، وطبقة البراهمة في الهند والحضارة الصينية، وفي العصور الوسطى في المشرق العربي وفي بلاد المغرب العربي أيضا (Bowen, ١٩٧٢: ٣٣-٢٣). ومن هذه النماذج التربوية النهضوية التي تحدثت عن المعلم والمتعلم والبيئة التعليمية أبو الحسن القابسي (٣٢٤هـ - ٤٠٣هـ) (٩٣٥م - ١٠١٢م)، حيث كان للأهواني فضل السبق إلى التصدي للتعريف بالقابسي وآرائه ومواقفه التربوية (لجنة التأليف والنشر، ١٩٤٥).

والإمام القابسي هو أبو الحسن محمد بن خلف المعافري شهر "بالقابسي" وهو من أئمة رجال الحديث ومن مشاهير رجاله (عبد الوهاب، ١٩٧٢: ٤٧). والمرجع في تحليل آراء القابسي ونقدها وتصنيفها وردها إلى أصولها وربطها بأحكام الفقهاء ومقالات المتعلمين، ومخطوطته المحفوظة بالمكتبة الوطنية بباريس المترتبة بفهرسها تحت عنوان "الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين" وذكرها الأهواني في ذيل كتابه التربية في الإسلام.

نسخت هذه المخطوطة سنة (٦٠٧هـ) أي بعد وفاة المؤلف بثلاثة قرون ونيف (الأهواني، ١٩٧٥: ٤٩).

وتقع هذه الرسالة في حوالي ثمانين صفحة من القطع الكبير فيه أجزاء ثلاثة، أهمها الجزءان الثاني والثالث (أطلس، ١٩٧٥، ١٨٨). وصدر القابسي رسالته بتفسير مفاهيم الإيمان والإسلام والإحسان والاستقامة والصلاح، ثم أجاب عن سؤال يخص ما جاء به في فضائل القرآن وفضل من تعلمه وعلمه وآداب حملته وقراءته (عبد الدائم، ١٩٧٣: ٢٥٤).

واهتم في جزئها الثاني بأحكام التعليم والتأديب، وأجر المعلم وسياسته في رعاية المتعلمين، وبحث في الجزء الثالث ترتيب أوقات التعليم وأحكام تغيب المعلمين والمتعلمين، وأجر الختمة، ثم ختم بشرح الحديث القائل: نزل القرآن على سبعة أحرف. (الأهواني، ١٩٧٥: ٥٠).

ولعل أول ما يمكن استخلاصه من تحليل هذه الدراسة المذيلة كتاب الأهواني في التربية في الإسلام، أنها جاءت في كثير من أفكارها متوائمة مع النظريات السيكلوجية والبيداغوجية الحديثة، مما يبعث على تأكيد الحاجة إلى قراءة نقدية لها تتيح فهم ما تضمنته من آراء تربوية ظهرت جليلة في الفكر الحديث، رغم تناول الزمن عليها، ودورها في صياغة نماذج تربوية نهضوية في عصر مؤلفها، وقد مست هذه الرسالة جميع ما يسمى عند أهل الاختصاص في الأبحاث التربوية بأقطاب العملية البيداغوجية المتمثلة في المرابي، والمرابي، ومحتوى التعليم، والمحيط الذي يمارس داخله العمل التربوي، أي ما يعرف في أيامنا هذه بالمعلم والمتعلم والمنهاج البيئة التعليمية.

مشكلة الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى إبراز ملامح التطور الذي صاحب عملية التعلم والتعليم عند المسلمين بعامه، والمغرب العربي بخاصة، ومقارنة ذلك بالمفاهيم التربوية المعاصرة، والكشف عن آراء أبي الحسن القابسي ومواقفه التربوية، وفي ضوء ما كتب عن محيطه الديني والثقافي، ورؤاه التربوية التي اتسعت ومست ما يسمى الآن في الأبحاث التربوية الحديثة بأقطاب العملية البيداغوجية المتمثلة في (المرابي، والمرابي، ومحتوى التعليم، والمحيط الذي يمارس داخله العمل التربوي) مما يبعث على قراءة نقدية لهذه الآراء يتيح فهم ما ضمه من نماذج تربوية نهضوية لم يخلق تناول الزمن عجيب جدتها، وقوة نفاذها إلى العمل التربوي، وطرائقه، وغاياته، ومختلف مقوماتها، ومدى ارتباط ذلك بالنظريات السيكلوجية الحديثة.

أسئلة الدراسة:

جاءت هذه الدراسة التحليلية لآراء القابسي التربوية للإجابة عن السؤالين الآتيين:

السؤال الأول:

ما الآراء التربوية للقابسي في أقطاب العملية البيداغوجية (المربي، والمرئي، ومحتوى التعلم، والمحيط الذي يمارس داخله المحتوى التربوي)؟

السؤال الثاني:

ما مدى التوافق بين آراء القابسي في أقطاب العملية البيداغوجية (المربي، والمرئي، ومحتوى التعلم، والمحيط الذي يمارس داخله المحتوى التربوي) ونظريات التعلم والتعليم الحديثة؟

محددات الدراسة:

اقتصرت هذه الدراسة على الآراء والمواقف التربوية لأبي حسن القابسي في أقطاب العملية البيداغوجية (المربي، والمرئي، ومحتوى التعلم، والمحيط الذي يمارس داخله المحتوى التربوي).

اقتصرت هذه الدراسة على مقارنة الآراء التربوية عند القابسي بالمفاهيم التربوية الحديثة.

اعتمد في هذه الدراسة على مصادر متنوعة، قديمة وحديثة تدور حول أقطاب العملية التعليمية (المعلم، المتعلم، المحتوى والبيئة التعليمية).

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية هذه الدراسة من خلال الآتي:

- تناول أقطاب العملية البيداغوجية (المعلم، المتعلم، المحتوى، البيئة التعليمية) من وجهة نظر القابسي.
- مقارنة هذه الآراء حول أقطاب العملية البيداغوجية بالنظريات السيكلوجية الحديثة.
- لفت الأنظار إلى النماذج النهضوية التربوية في العصور الإسلامية المتقدمة وارتباطها بالفكر التربوي الحديث.
- إبراز المصادر التي تمد تعليمنا المعاصر بصيغ وتقاليد تمارس على أنها مستحدثات تعليمية علما أن لها أصولا في الفكر التربوي الإسلامي.
- إبراز الظروف الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التي أسهمت في تكوين آراء القابسي التربوية أي ما يعرف بالمحيط الذي يمارس داخله المحتوى التربوي.

تعريف المصطلحات:

المربي: هو المعلم المسؤول عن تربية النشء في التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم (الأهواني، ١٩٧٥ : ٢٤٥).

المربي: وهو الطفل الذي لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، ولا يميز لنفسه ما يأخذ لها وما يدفعه عنها، ومسؤولية تربيته ملقاه على كافلة وراعيه والمربي (الأهواني، ١٩٧٥ : ٢٥٥).

محتوى التعليم: وهو القرآن الكريم دستور المسلمين ومرجعهم في العبادات والمعاملات وهاديهم إلى سبيل الفوز برضوان الله.

والمنهج العام الذي يشمل على:

مواد إجبارية (القرآن، والفقه، والخط، والهجاء، والقراءة ومبادئ العربية).

علوم اختيارية (كالحساب والشعر وأخبار العرب، وعلم النحو) (الأهواني، ١٩٧٥ : ٢٨٥).

المحيط الذي يمارس داخله المحتوى التربوي: هو العوامل السياسية والدينية والاجتماعية في القرن الرابع الهجري الذي عاش فيه أبو الحسن القابسي (عبد الوهاب، ١٩٦٥ : ١٩٧).

البيداغوجيا: هي المبادئ الأساسية التي تركز عليها عملية تنفيذ التدريس مثل المناحي العملية لإدارة الصف ومهارات التدريس وزمن التعليم ووقت الانتظار، والنظام الاجتماعي الصفّي والمدرسى ومبادئ التفاعل الصفّي.

مجموعة الأعمال التي يستخدمها المدرس ووظائفه كنقل المعارف والتربية لجماعات في سياق مدرسي، وهي مصطلح مرادف لفن التدريس.

النظريات السيكلوجية: هي المحاولات التي قام بها علماء النفس، والتي أسفرت عنها نظريات متنوعة تناولت ظواهر التعلم في إطار ذي معنى، يفسر أو يسهل تفسير الجوانب المتنوعة للسلوك (النشواتي، ١٩٨٤ : ٣١٧).

الطريقة والإجراءات:

استخدم في هذه الدراسة المنهج التاريخي، الذي يقوم على الإحاطة بالمصادر التي تعالج فترة الدراسة وقضاياها المطروحة للبحث.

تحليل هذه القضايا ونقدها واستخلاص الآراء التربوية التي طرحها القابسي في أقطاب العملية البيداغوجية والمصادر التي تناولت شرح رسالته بالتفصيل.

إجراء مقارنة بين هذه الآراء وما جاء في النظريات السيكلوجية الحديثة.

اعتماد مراجع قديمة وحديثة وردت ضمن ثنايا الدراسة.

نتائج الدراسة وتفسيرها:

للإجابة عن السؤال الأول:

ما الآراء التربوية للقابسي في أقطاب العملية البيداغوجية (المربي، المربي، المحتوي، المحيط الذي يمارس داخله المحتوى التربوي)؟

المربي: يؤكد القابسي على أهمية الدور الذي ينبغي أن يضطلع به المربي في تخريج أبناء المسلمين والذي يتمثل في الخصائص والسمات الآتية:

المعلم مسؤول عن ترغيب المتعلمين في التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ليكونوا حسب تعبير القابسي نفسه من أهل الحق "الذين لا يزالون يستشيرون القرآن ويهتدون بما بينه الرسول عليه السلام مقتدين في ذلك بما عرفه أئمة الدين من سالف الأمة المرضين" (الأهواني، ١٩٧٥ : ٢٥٤-٢٥٥).

على المعلم أن يرعى الصبيان حسب ما يرعى صبيانه، وله الحق في أخذ الإجازة ما دام متفرغاً لذلك، مجتهداً فيه، صابراً عليه، والأجر لا يتمثل في محتوى التعليم بل في الجهد الذي ينفق فيه بغية التوجيه الحسن والتأديب الصحيح، والإجازة هنا إجازة البدن المشتغل بالقرآن، وليس ثمناً للقرآن، ويبرر القابسي ذلك بأن بيع المصاحف إنما هو بيع للرقوق والخط والصنعة وليس بيعاً لما فيه، لأن الذي فيها غير مطلوب إلى أحد ولا مخصوص به بائع المصحف دون مشتره (الأهواني، ١٩٧٥ : ٢٦٠).

يجل للمعلم من وجهة نظر القابسي الإجازة أيضاً بحكم ما يكابده في تعليم الفقه والفرائض والسفر، وبحكم ما يبذله من أجل الاستجابة لشروط التعليم والنهوض به وبأعبائه، وهي من أسباب الرزق التي لا غنى عنها كإنسان يحتاج مثل غيره إلى ما يسد به حاجات العيش، وبالتالي فالتعليم في نظر القابسي مهنة لا بد منها لتنشيط الحياة الاجتماعية وتوفير أسباب الرقي الحضاري (العليوي، ١٩٧٥ : ١٥).

كما وضح القابسي بشرح أحكام مهنة التعليم، وبين علاقة المعلم بولي أمر الصبي المتعلم، هي علاقة تعاقد ملزم يشتمل محتوى التعليم ومدته ومقدار الأجر وأجل دفعها. فهناك من ينتدب المعلم ليعلم ولده القرآن وزيادة عليه الخط وقواعد الكتابة أو الهجاء أو النحو أو الفقه أو الشعر، ومنهم من يشترط تعليم ولده لوحده أو مع غيره من الأولاد (الأهواني، ١٩٧٥ : ٢٦٨).

وقوام التفاهم بين الولي والمعلم هو وعيهما المشترك بمسؤوليتهما في تربية الأجيال الطالعة، تربية توظف فيها الضمير الديني الذي به الإسلام، والتصديق، وخشية الله والعمل بما أمر الله ودعا إليه، والانتهاج عما نهي عنه، وبدونه لا يمكن التكيف في المحيط الثقافي الاجتماعي لأنه خير هذا المحيط، وتوازنه ولحمة المتعاشين داخله، العاملين على صونه من البدع والضلالات، والأهواء الغازية تقتضي الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله (الأهواني، ١٩٧٥ : ٢٣٣).

فالذي يعلم ولده فيحسن تعليمه ويؤدبه، فيحسن تأديبه، فقد عمل في ولده عملاً حسناً، يرجى له من تضعيف الأجر فيه، ولو ظهر على أحد أنه ترك تعليم ولده القرآن تهاوناً بذلك، لجهل وقبح ونقض حاله (القابسي، الرسالة: ٢٤٩).

ينادي القابسي بإجبارية التعليم والحث عليه بأسلوب الترغيب تارة وأسلوب التهيب تارة أخرى، فهو يذكر المقبل على التعليم بالأجر عند الله ويحذر الراغب عن ذلك بسوء المآل في الحياة والمعاد.

أكد القابسي على أن تشمل نعمة التعليم جميع الأطفال دوماً استثناء حيث دعا إلى أن يتم تعليم اليتيم مما يكون قد ورثه من مال أو من قبل وصيه، وإن لم يكن له وصي نظر في أمره حاكم المسلمين، وإن لم يكن هناك حاكم للمسلمين نظر في أمره صالحو ذلك البلد أو يتم العناية به من أحد المسلمين، أو يقوم بذلك المعلم ويحتسب أجره على الله (الأهواني، ١٩٧٥: ٢٥٢).

والهدف من تعليم القرآن خاصة من وجهة نظر القابسي تخريج الأجيال الجديدة على معرفة الدين والاهتداء بتعاليمه كما هي مبينة في كتاب الله أولاً، ثم في سنة نبيه، ويقع هذا الأمر على الأب أولاً، فإن لم يستطع أن يستأجر من ينوبه فيه حتى يثبت القرآن في قلوب المؤمنين (الأهواني، ١٩٧٥: ٢٥٤).

وعلى المعلم التفرغ لمهنة التعليم، وعليه أن لا يشتغل عنهم بأمر قد تطرأ عليه كشهود جنازة أو عيادة مريض، وشهادة البيئات أو إبرام عقود النكاح وغيرها، وعليه أن يتفق مع الآباء على أوقات التعليم والعطل وأن يستأذن في إرسال الصبية في طلب بعض، وأن يستخلفهم في الاعتناء بهم في حال سفره.
المربي:

الطفل في نظر القابسي "لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا" ولا يميز لنفسه ما يأخذ لها، وما يدفعه عنها" وتربيته أولاً ملقاه على عاتق كافله وراعيه والذي هو في الغالب والده، وتربية الطفل هي أصل نفعه واستقامته على القيم الإسلامية التي لا بد من معرفتها، وللآباء أجر عظيم إذا علموا أولادهم بأنفسهم كان أجرهم في ذلك "أعظم من الحج والرباط والجهاد" وللذين يعلمونهم من المعلمين الذين يعهد إليهم تربية الأبناء (الأهواني، ١٩٧٥: ٢٥٥).

بالغ القابسي في تمجيد صورة الولي المتهاون في تعليم أولاده وهو واحد إليه سبيلاً، فهو مستخف بواجب السعي إلى أن يدرك أولاده النضج في الدين.

دعا القابسي إلى تمكين الأطفال من فرصة المعرفة والتحصيل ونبه إلى ضرورة التمييز بين سن الرشد والمسؤولية الدينية والاجتماعية، وبالتالي لا يجوز أن يحرم الأطفال من حق التعليم لأن ذلك يؤدي إلى تفشي الأمية والعجز عن الاستجابة لمتطلبات الدنيا والدين.

يبرر القابسي حق الأنتى في الانتفاع بالخدمات التربوية التي تقدم للذكور، فهي في نظره لها منزلة الكائن الخليق بالرعاية والاعتبار اللذين يفرضهما دورها العام في تحقيق ما ضمن توازن الكيان الاجتماعي (النعمي، ١٩٨٠: ١٤١).

فصل القابسي الأحكام الخاصة بتعليم البنت دلالة على تعميق الوحدة الإسلامية الذي تستلزم نشر الوعي في الذكور والإناث معاً، مستشهداً بالقرآن والسنة، فقد روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله (أيما رجل كانت عنده وليدة، فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها فله أجران).

أكد القابسي على ضرورة الفصل بين المتعلمات والمتعلمين لأن ذلك فيه صلاحهم خشية إفسادهم، ولم يفصل القابسي في هذا الموضوع بسبب شدة انشغاله بالدعوة إلى نشر التعليم وتزهدده وتعففه ووقاره واكتفى بإشارة خفية للموضوع دون تفصيلات.

كما أكد القابسي على رفق المعلم بتلاميذه والعدل بينهم، وتأكيده لإشعاعه عليهم باعتباره القدوة والالتزام بالمثل العليا، ومنها المساواة في تحديد الأجر والتوجيه، وضبط العقاب الذي يستوجب الصبيان عند الخروج عن الحدود.

ونصح القابسي المعلم بألا يكون دائم العبوس، فيصبح عديم التأثير فيهم، وأن لا يكثّر من اللوم والضرب حتى لا يفقداهما أهميتهما التأديبية، وفي الحالات المستوجبة لا يضرب إلا من لا ينفع معه التوجيه والتوبيخ، إذ على المعلم أن يضع الأمور مواضعها، فالمعلم يسوس أطفاله بما ينفعهم، فيرفق بهم ويرحمهم بالنصح والإرشاد أي يحرص على ما يسمى (بالتكوين المستمر) أي التشكيل لسلوكهم.

يجوز للمعلم الانشغال عن الأطفال فقط لأحيان قصيرة ليتثبت من حفظ القرآن ولا يتلثم به أو ينسى بعضه إذ أن القرآن كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (أشد تقصيا من صدور الرجال من النعم).

وللقابسي تصور فريد لعلاقات المتعلمين فيما بينهم، فهو يرى في تخاير المتعلمين أي تنافسهم، وتقوم بعضهم لمستوى البعض الآخر ما يصلحهم، ويخرجهم، ويبيح لهم أدب بعضهم بعضاً، وفي تكييف العريف (المتعلم الذي ختم القرآن وعرفه) بتعليم غيره من التلاميذ منفعة لهم (الأهواني، ١٩٧٥: ٢٢٢).

ويدعو القابسي إلى اعتبار الفروق الفردية في التعليم فيقول: "ونحن نوجب للمعلم حذقة، ونرى أن يحكم له بما في النظر والظاهر على قدر الغلام، وقدر درايته، وقدر حفظه في الظاهر، وقدر معرفته بالهجاء والخط في حذقة النظر" (الرسالة: ٢٢٧).

ويفضل القابسي أن يعرض كل واحد من الصبيان في حزيه، فيؤدبه على ما كان من تقصير. واستحدثاً على بذل الجهد الذاتي، الذي يعتبر أساس التعلم وتيسيراً لمعرفة نتائج حفظه، دعا القابسي إلى تقويم نشاط المتعلم باعتبار المدى الزمني الذي استغرقه هذا النشاط (الرسالة: ٢٩١).

أما عن البرنامج الدراسي، يدرس التلاميذ طوال ستة أيام ويفرغون للراحة يوم الجمعة "وذلك سنة المعلمين مذ كانوا" يعرضون على معلميه (في عشي يوم الأربعاء، وغدو يوم الخميس، إلى وقت الكتابة، والتخاير إلى قبل انقلابهم نصف النهار، ثم يعودون بعد صلاة الظهر للكتاب، والخيار إلى صلاة العصر، ثم ينصرفون إلى يوم السبت ييكون فيه إلى معلميه، وهذا حسن نافع رفيق بالصبيان وبالمعلمين لا شطط فيه) (الرسالة: ٢٢٤).

وفي نهاية المرحلة التعليمية يكون هدف التقييم، معرفة من يستحق الختمة، والتمييز بين من زاد عن حفظ القرآن حذق قراءته في المصحف، وكتابته بخط حسن، والإلمام بقدر من الشعر أو النحو، إذ أن التعاقد بين المعلمين والأولياء يمكن أن يستظهر الصبي القرآن حفظاً من أوله إلى آخره، أو استكمل يضاف إلى ذلك ضبط الهجاء والشكل وحسن الخط، إلا أن المستظهر للقرآن حفظاً مع ما صاحبه من حسن خط، وضبط شكل، وهجاء وإعراب، وقراءة، يكون في الاجتهاد أفضل ممن لم يستظهر الحفظ (الرسالة: ٢٨٥).

محتوى التعليم:

يعتبر القابسي القرآن الكريم دستور المسلمين ومرجعهم في العبادات والمعاملات وهو جوهر وحدتهم وهدايتهم إلى سبل الفوز برضوان الله، وموقف القابسي من تعليم القرآن مستوحى من طبيعة اهتماماته كفقهاء.

صنف القابسي المواد الدراسية إلى مواد إجبارية وهي القرآن والفقه والأخلاق والخط والهجاء والقراءة ومبادئ العربية، ومواد أو علوم اختيارية كالحساب والشعر وأخبار العرب، وعلم النحو، وصناعة العربية. وبالفقه يتعلم المتعلم واجباته الدينية كالوضوء والصلاة وبالأخلاق ينشأ الصبي على السلوك المتجه إلى الالتزام الذاتي بما أمر الله.

أما العلوم الاختيارية فهي علوم تبتعد عن الصفة الدينية وإنما هي ضرورة لفهم الدين.

وإذا قمنا بالمقارنة بين هذه العلوم وعصرنا هذا نجد أن العلوم الإجبارية تمثل ما نسميه اليوم بالتعليم الأساسي، وبين مرحلة التعمق والتخصص التي تؤكد عليها مرحلة التعليم الثانوية.

والقابسي ينظر إلى العلوم الاختيارية بقدر خدمتها للعلوم الإجبارية فمثلاً يفيد الحساب أو ما نسميه اليوم بالرياضيات في عملية ضبط الموارد وسائر الحقوق المادية، والشعر ما يوفره من أسباب إيقاظ الذوق وتهذيبه، والتاريخ وما يبرزه من أنواع العلاقات السببية بين الأحداث والظواهر لا تهم المرابي إلا من وجهة روحية محض (الأهواني، ١٩٧٥: ١٤٩).

والقابسي في رسالته يؤكد على مبدأ التدرج في المحتوى الإجباري الذي يتمثل في علوم الدين والمحتوى الاختياري التي تتمثل في العلوم التي تختلف عن سابقتها في بعدها عن الصفة الدينية، وإن كانت ضرورية

لفهم الدين، ويؤكد على عملية الاستمرارية والتعمق في المحتوى الإجباري، وهذا يعبر عنه بالتنظيم المنطقي والسيكولوجي للمحتوى والاستمرارية والتتابع والتكامل في تنظيم الخبرات.

المحيط الذي يمارس داخله العمل التربوي:

كانت أهم خصوصيات المحيط الذي يمارس داخله العمل التربوي إبان القرن الرابع الهجري الذي عاش فيه أبو الحسن القابسي، امتدادا طبيعيا لتأثير العوامل الدينية والسياسية في توجيه الحياة الاجتماعية والثقافية والتربوية.

اتسم عصر الأغالية في أواخر القرن الثالث الهجري (٢٩٦ هـ، ٩٠٩ م) بحضارة كبرى تأسست وشمخت بما وفروه من أسباب الأمن والقوة الاقتصادية والنهضة العلمية التي تجلت في كل من القيروان حيث أنشأ بيت الحكمة الشهير، بما ضمه من خزائن الكتب والآلات الفلكية لحساب سير الكواكب ورصدها كالاسطرلابات والمقنطرات، وما يشبهها من أدوات البحث وتحقيق الأوقات وضبط الأطوال والعروض مما يستعمل في علمي الفلك والتنجيم.

كان القرن الرابع الهجري الذي عاش فيه القابسي قرن غزارة علمية كبيرة أدى إلى ظهور عدد غير قليل من العلماء والمهتمين باستنساخ الكتب وجمعها في مكتباتهم، حيث روى عن المؤرخ "محمد بن أحمد التميمي" المتوفي سنة (٣٣٣ هـ) الذي اشتهر أنه كتب بيده أربعة آلاف كتاب، وعبد الله بن هاشم بن مسرور المتوفي سنة (٣٤٦ هـ)، كان يضع له مكيال للسوائل يسع أربعين لترا تقريبا من الحبر كل سنة لكثرة ما يستنسخه، وكان وزن كتبه سبعة قناطير كلها بخطه حاشا كتابين، وكانت أحمال الكتب المتنوعة الوافدة على القيروان بوساطة قوافل الباعة المتنقلين بين المشرق وإفريقية والأندلس تغذي هذا الفيض العظيم الذي جعل من القيروان كعبة القصاد من طلبة المعرفة. ومن الطبيعي أن تكون أهم الظواهر التي أفرزتها هذه الحركة التعليمية الواسعة المتمثلة في الحاجة إلى وضع سنن التربية والتأديب، وضبط كل مقوماته ومحتواه وطرائقه وأهدافه، والتي مكنت القابسي القيام بهذه المأثرة العلمية، والتي لم تكن منحصرة فيما ألف من كتب الفقه، بل برسالته الشهيرة في انكبابه على تفصيل أحكام المعلمين والمتعلمين وتدوينها في رسالته التي يحق اعتبارها من أمهات المراجع في التربية المالكية خاصة والتربية الإسلامية عامة (حسني، ١٩٦٥: ١٩٧).

السؤال الثاني:

ما مدى التوافق بين آراء القابسي في أقطاب العملية البيداغوجية (المربي، المربي، المحتوى، المحيط الذي يمارس داخله المحتوى التربوي) ونظريات التعلم والتعليم الحديثة؟

المربي:

يحث القابسي على إجبارية التعليم ويستعمل في الإقناع بشرعية ذلك والاستحثاث عليه أسلوب الترغيب تارة وأسلوب التهيب، ويعتبر رأيه هذا جديدا في ذلك العصر، إذ لم يسبق لغيره الإصداع به بمثل هذا الوضوح، ويعتبر من أوائل المنادين بتعميم التعليم، وتحقيق ديمقراطيته، لأن موقفه يجسم رد فعل جرى، رشيد إزاء جملة من العادات كانت موجودة في ذلك الوقت، واستمرت أحقابا طويلة، وبقيت رواسيها ماثلة في واقع البشرية حتى الآن، ومن هذه العادات تشغيل الأطفال في سن مبكرة وحرمانهم من حقهم في التعليم (الأهواني، ١٩٧٥: ٢١٧).

لم يشجع القابسي الفصل في التعليم بين طبقات المجتمع، بل حرص على أن يكون التعليم للجميع في مكان واحد ويتلقوا المعرفة عن معلم واحد، فلا تتسع الهوة بين الطبقات، وتسود بينهم النزعة الإسلامية الصحيحة. وأن تشمل عملية تعميم أو ما يسمى الآن بالزامية التعليم جميع أفراد المجتمع حتى الأيتام والفقراء منهم وتكون هذه مسؤولية الدولة. والفرق الوحيد بين إلزامية التعليم من وجهة نظر القابسي وعصرنا هذا أن البلاد المتقدمة حددت عقابا لمن لا يعلم ابنه بينما اكتفى القابسي بتهجين صورته بين الناس وعند الله، في ذلك بلاغ (القابسي، الرسالة: ٢٥٢).

ولو أردنا المقارنة بين واجبات المعلم وأهداف رسالته الروحية والأخلاقية والاجتماعية، لتسنى القول بأن الصورة التي يقدمها هي صورة قريبة جدا من الواقع، فهو لم يتوسع في سجايا المعلم بقدر ما يفرضه دوره في حياة المجتمع من حرص على الحوار مع أولياء أمور المتعلمين، بغية تحذير أبنائهم وبناتهم في البيئة الدينية صونا لهم من الجهر والتأثر بالتيارات الخارجية، وهذا ما تنادي به كثير من التوجهات التربوية الحديثة بالمحافظة على الأصالة والحذر من المؤثرات الخارجية.

فالمعلم له مكانه كبيرة في النظام التعليمي، فهو يحدد نوعية التعليم واتجاهه وبالتالي نوعية مستقبل الأجيال وحياد الأمة (عفيفي، ١: ١٩٨٢).

وللمعلم دور ريادي يلعبه فهو رائد اجتماعي لهم في تطوير مجتمعه وتقدمه وتربية النشء تربية صحيحة تتسم بحب الوطن والدفاع عنه والمحافظة على الذات الوطني الإنساني، وتسليح تلاميذه بطرق العمل الذاتي التي تمكنهم من متابعة اكتساب المعارف والقدرات والمهارات، وباختصار يؤدي دور القدوة والمثال النموذجي لتلاميذه، إنهم يحاكونه ويحاولون الانطباع به، وبالتالي فهو بدون شك من العوامل المؤثرة في تشكيل فهمهم ومثلهم المستقبلية (دسوقي، ١٩٧٩: ٢٧٤).

المربي:

يشير القابسي إلى أن حرمان الطفل من التعلم يؤدي إلى الأمية والعجز عن الاستجابة لمتطلبات الدين والدنيا (الرسالة: ٢٥٢). كما يبرر القابسي حق الأنتى في الانتفاع بالخدمات التربوية والحرص على

مصالحها وسلامتها، وللمرأة منزلة الكائن الخليق بالرعاية والاعتبار لما لها من دور في تحقيق التوازن الاجتماعي.

وللقابسي رأى في الفصل بين المتعلمين والمتعلمات لأن ذلك من صلاحهم، ومن حسن النظر لهم. ووجهة نظر القابسي هذه لا تزال محل جدل في الأبحاث السيكولوجية المتعلقة بسلوك المراهقين، فهناك من يقول بأن اختلاط ميسر لنسخ صلات التفاهم بين الجنسين، ومنهم من القائلين بأن الاختلاط من أسباب الاستحاشة أو التهيج للغريزة الجنسية مما يؤدي إلى الانحرافات والميولات العدوانية التي تهدد معايير التعامل الأخلاقي، والاجتماعي (الجبالي، ١٩٧٧: ٥١٤). علما بأن القابسي لا يعارض الاختلاط في السن السابقة لظاهرة الاحتلام، فهو لا يرى ضررا في جمع الأطفال ذكورا وإناثا قبل يقظة القوة الجنسية، واكتمال الأسباب البيولوجية التي بها ممارستها وإشباعها (الجبالي، ١٩٧٧: ٥١٥). والقابسي حينما ركز على مفهوم الاحتلام فقد سبق المختصين في علم النفس المراهق والتحليل النفسي القوائم على نظرية فرويد (١٨٥٦ - ١٩٣٩) في التنبيه إلى أهمية هذه الفترة الحاسمة التي تنشأ فيها ضروب عديدة من الصراعات واضطرابات السلوك المستوجبة لتكثيف الجهود من أجل تعميق الوعي الثقافي الذي لا بد منه لتكثيف الجهود من أجل تعميق الوعي الثقافي الذي لا بد منه لتكثيف الجهود من أجل تعميق الوعي الشخصية. وهذا الحدس السيكولوجي عند القابسي ساعد على ارتفاع رأي القابسي في الاختلاط إلى مستوى العلاقة الجدلية المستمرة وأنضج أحكامه البيداغوجية المتعلقة بالصلات الرابطة بين المعلمين والمتعلمين أنفسهم من ناحية أخرى.

دعا القابسي إلى أن يحرص المعلم على الرفق بين التلاميذ والعدل باعتباره القدوة والمثل الأعلى، وضبط العقاب الذي يستوجبه خروج الصبيان عند الحدود المشروعة ونصحه بعدم العبوس كيما لا يأنس الصبيان منه، فيصبح عدم التأثير فيهم، وبألا يكثُر اللوم والضرب، حتى لا يفقداهما أهميتهما التأديبية، بحيث لا يضرب إلا من ينفع معه التوجيه أو التوبيخ.

والعقاب بالضرب يقر به القابسي، كغيره من علماء المسلمين ولكنه يضع لها أحكاما وحدودا منها عدم القسوة، والعدول عن أساليب الإذلال والأضرار، والملاحظ هو أن هذه العقوبة لم تزل ضمن الإجراءات البيداغوجية التي تحافظ عليها بعض المجتمعات المعاصرة المتقدمة، وفي طبيعتها المجتمع الإنجليزي، وهي محرمه في القوانين المطبقة في كل البلاد النامية (جلال، ١٩٧١: ٥٩٦). ونظرا للاستخدام الشائع للعقاب في المؤسسات المجتمعية والتربوية المختلفة، والهادف إلى حذف السلوك غير المرغوب فيه وتعزيز السلوك المرغوب، فلا بد من التعرف إلى الظروف التي يكون فيها العقاب فعالا ومناسبا (النشواتي، ١٩٨٤: ٢٩٣).

لقد بين ثوانديك (Thorndike, ١٩١٣) وسكنر (Skinner, ١٩٣٨) وايتس (١٩٤٤ Estes)، أن العقاب ليس فعالا بالضرورة، أي لا يؤدي إلى حذف أو كف السلوك، بالطريقة التي

يؤدي بها التعزيز إلى تقويته ، فالتعزيز أكثر فعالية من العقاب في مجال تغيير السلوك أو تعديله، ويرى سكرن أن آثار العقاب في السلوك مؤقتة، لأن الاستجابات المكفوفة بالعقاب، قد تعود إلى طبيعتها ووضعتها الأصلي إذا قيست بمعدل تكرارها، ويرى باحثون آخرون إلى أن نتائج دراسات سكرن ليست مطلقة، ويمكن كف بعض الاستجابات على نحو نهائي أو مطلق ضمن شروط عقابية معينة يجب توافرها ليغدوا العقاب فعالا (Ellis, et. al., ١٩٧٧). وهكذا نلاحظ أن هناك وجهات نظر مختلفة تؤيد وجهة نظر القابسي في موضوع العقاب وبخاصة النظريات السيكلوجية الحديثة.

أما بخصوص العلاقات الأفقية بين المتعلمين أنفسهم التي تشجعها الطرائق البيداغوجية الحديثة والتي يؤكد عليها علم النفس الاجتماعي وعلم نفس الطفل، فهو أي القابسي يشجع التنافس بين المتعلمين وتقويم التلاميذ لبعضهم البعض الآخر، دور العريف بتعليم غيره من التلاميذ، وبالتالي يؤكد القابسي على الأهمية الراجعة للجهد الشخصي في عملية التعلم أو ما يسمى حاليا بالتعلم الذاتي حيث يقوم الكائن بنفسه بنوع من النشاط الذي لا يتم إلا إذا استثرت حاجات الفرد وحاول إيقاع هذه الحاجات إضافة إلى مفهوم التواصل بين المجموعات أو ما يسمى بدينامية المجموعات المستمدة من أبحاث كورت لوين (K. Lewin) وجان ميروناف (J. Maisonneure) (جلال، ١٩٧١ : ٥٩٦).

أما بالنسبة لمصطلح الفروق الفردية في التعلم والذي تؤكد عليه النظريات السيكلوجية الحديثة فقد أشار إليها القابسي بقوله " ونحن نوجب للمعلم الحذقة، ونرى أن يحكم له بها في النظر والظاهر على قدر درايته، وقدر حفظه في الظاهر".

كما أكد القابسي على التعلم الذاتي الذي يعتبر أساس التعلم وتيسيرا لمعرفة نتائجه في الحفظ والتحصيل، كما دعا القابسي إلى تقويم نشاط المتعلم باعتبار المدى الزمني الذي يستغرقه المتعلم في النشاط، وهذا ما أكدت عليه الأبحاث السيكلوجية الحديثة، وهو ما يعرف بالتعزيز أو التغذية الراجعة في العصر الحديث. فالتعزيز كما يعرفه سكرن هو الحادث المثير الذي يؤدي إلى زيادة احتمال تكرار حدوث الاستجابة موضوع التعزيز (النشواتي، ١٩٨٤ : ٢٨١).

محتوى التعليم:

ركز القابسي على أهمية البعد الديني في العمل التربوي، وكان ينشد المسلم الواعي القادر على خدمة المجموعة والتحكم الذاتي في أهوائه التي قد تقصيه عن سبيل الله.

يركز القابسي في تعليم الناشئة من خلال المسؤوليات الدينية الدنيوية التي تنتظرها في طور التكليف، وينصح بالطرائق البيداغوجية التي تستعيز عن الوعظ والتلقين والتركيز على الفهم، كما أكد على فائدة المثل الحي والمران والقدوة الحسنة في إجراء الفرق بين الحسن من الأفعال وضده. وهذا ما أكدت عليه النظريات السيكلوجية الحديثة وبخاصة التعلم بالملاحظة (Observational Learning)، ولعل باندورا (Bandura, 1977) من أكثر علماء النفس مساهمة في دراسة هذا التعلم وبيان شروطه وآثاره المختلفة، وهذا النوع من التعلم يقوم على افتراض مفاده أن الإنسان ككائن اجتماعي يتأثر باتجاهات الآخرين ومشاعرهم وتصرفاتهم وسلوكهم، وينطوي هذا الافتراض على أهمية تربوية بالغة، إذا اعتبرنا أن التعليم بمفهومه الأساسي عملية اجتماعية (النشواتي، 1984 : 354).

ويؤكد محتوى التعليم عند القابسي على غائيات التعليم والتنشئة، وإلى النظر إلى صميم العلاقة الجدلية بين محتوى التعليم وحاجات المجتمع. وهذا ما أكدت عليه البرامج التربوية في القرن العشرين وبخاصة في البلدان النامية في مراجعة نظمها التربوية في اتجاه السعي إلى تعميق العلاقة بين التربية والمجتمع بتنوع الاختصاصات ورد الاعتبار إلى العمل اليدوي الذي أنزلته الحضارة اليونانية منزلة الاحتقار والاستهجان (عبد الوهاب، 1972 : 197).

وقد أكدت التربية الحديثة على ربط التعليم بالتشغيل باعتبارهما قطبين متكاملين، وهذا ما دعا التربويين إلى الحظ على ضبط البرامج التعليمية ضبطاً يراعي خصوصيات كل مجتمع، وبشكل ييسر التعاون بين المؤسسات التعليمية والمؤسسات الصناعية والاقتصادية وهذا ما أشار إليه القابسي قبل ألف عام إلى أهمية تحديد الهدف من التعليم والمدى اللازم لتحقيقه (عبيد، 1971 : 8).

أشار القابسي إلى مفهوم التكامل في تنظيم المحتوى الإجباري والاختياري بحيث يؤكد المحتوى الإجباري على العلوم الدينية والمحتوى الاختياري على علوم دينية ضرورية لفهم الدين، وهذا ما أكدت عليه

الدراسات الحديثة بضرورة التكامل بين المباحث حيث يعرف التكامل بأنه التوسع الأفقي بين عدة موضوعات دراسية تدور حول محور واحد أو فكرة رئيسية (الطيبي، ٢٠٠٧).

وأكد القابسي على عملية التدرج في إعطاء المحتوى سواء أكان علوماً إجبارية أو اختيارية، ويشير هذا التتابع والاستمرارية والتنظيم المنطقي والسيكولوجي للمحتوى وهي من المفاهيم الحديثة التي تؤكد عليها المناهج في عصرنا هذا، حيث يساعد التعلم السابق على فهم التعليم اللاحق، إذا كان مرتبطاً به، وحين يدرك المتعلم أن في تعلمه تتابعا واستمراراً، ويدرك عناصر هذا التتابع والاستمرارية فيما يتعلمه، فإن تعلمه يصبح أكثر سهولة وقوة، ويرتبط مفهوم التدرج بالتنظيم المنطقي للمحتوى الذي يرتبط بطبيعة المادة العلمية التي يشملها المحتوى، أما التنظيم السيكولوجي فيرتبط بطبيعة المتعلم وخصائصه مما يجعل التعلم أكثر سهولة ويسراً، إضافة إلى أن الاستمرارية تعني التكرار العمودي لعناصر المحتوى أما التتابع فيعني اختيار المحتوى وترتيبه ترتيباً تتابعياً وبطريقة منطقية ملائمة تأخذ بالحسبان اعتماد المعرفة اللاحقة على المعرفة السابقة. وهكذا نلاحظ أن القابسي طرق مفاهيم في عصره، تعتمد عليها النظريات السيكولوجية الحديثة في تنظيم المحتوى والخبرات التعليمية في عصرنا هذا (أبو حلو، مرعي، ١٩٩٥: ٦٣-٦٤).

المحيط الذي يمارس داخله العمل التربوي:

إن المحيط الذي مارس خلاله القابسي عمله التربوي كان محيطاً ثرياً غنياً بالعلم والمعرفة في الجوانب التربوية والعلمية والفلكية وغيرها، ورسائله المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين كتبت على أرجح الاحتمالات إبان العقود الأخيرة من حياته، أي أوائل العهد الصنهاجي الذي انفرج فيه المجتمع القيرواني، وكان الهدف من هذه الرسالة هو الذب عن المذهب المالكي بجميع مصادره، وشرح أحكامه على النحو الذي ييسر تطبيقه ويضمن انتشاره، ويوطد أركانه.

لم يهمل القابسي المحيط الذي يمارس في داخله العمل التربوي، حيث أشار إلى ضرورة توافر الألعاب في هذا المحيط، وهذا ما تؤكد عليه الأبحاث والنظريات السيكولوجية الحديثة، إلا أنه أشار إلى أن ألعاب الأطفال يجب أن تكون خالية مما يمكن أن يرسخ فيهم عادات مخالفة للدين مثل الربا وغيره. وإن وضعه لأحكام العطل الأسبوعية والدينية يتمثل في زيادة تسهيل تكيف الصبيان في الوسط الديني والاجتماعي، وتمكين المعلمين من نيل نصيب من الراحة، والمتعلمين من التحرر أحيانا من قيود الدراسة إلى ممارسة النشاط التلقائي المستجيب لطبيعة ميولهم واهتماماتهم المتجهة بحكم أعمارهم إلى اللعب الفردي والجماعي الذي يساعد على اطراد نموهم الحسي الحركي والعاطفي والأخلاقي والذهني (ابن عاشور، ١٩٦٥: ٤٠).

وتعد الألعاب التعليمية أحد أنماط التجديد التربوي في عدد من الدول في عصرنا هذا حيث أخذت بهذا الأسلوب، في التطبيقات التربوية بمدارسها في مراحل التعليم العام، وتنطلق فكرة الألعاب من الاتجاهات الحديثة في جعل التعليم أكثر فاعلية ونشاطا من خلال تحفيزه على طرح الأسئلة، والمشاركة في المناقشات والفاعليات المتنوعة (الزغي والألوسي، ٢٠٠٢).

والألعاب التربوية سواء داخل المدرسة أو خارجها أي في المحيط الذي يمارس خلال العمل التربوي نشاط هادف يقوم به المعلم أو مجموعة الطلاب لتحقيق الأهداف التربوية المرغوبة المعرفية والنفسحركية والوجدانية (الهويدي، ٢٠٠٤) (Oldifild, ١٩٩١).

واللعب في الطفولة وسيط تربوي هام يعمل على تكوين الطفل، وترجع أهميته إلى الفترة الطويلة التي يقضيها الطفل في اللعب داخل المحيط المدرسي أو في أيام العطل مما يسهم في التكوين النفسي للطفل، حيث يكشف عن دوافعه، وتتكون لدى الطفل ميول وقدرات وخصال تعزز وتدعم معارفه وخبراته السابقة ويشكل اللعب نشاطا أساسيا لمراحل نماء الطفل (عبد الهادي، ٢٠٠٤).

وهكذا نلاحظ تدعيم النظريات السيكولوجية والأبحاث التربوية صحة آراء القابسي في توفير الألعاب والطفل في المحيط التربوي.

جاءت هذه الأفكار التربوية والمنسجمة مع النظريات السيكولوجية الحديثة في عصر عاش فيه القابسي يؤكد على ترغيب الجيل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه والذود عن العقيدة والتبحر في علوم الفقه والشريعة، وهذا يظهر أن القابسي لم يذهب في تعليمه مذهب التزمتم المبالغ وكما يقول أطلس أن النظر لأوضاع التعليم بدار الإسلام منذ بداية القرن الخامس للهجرة إلى اليوم، لاحظنا أن الزهد في العناية بالعلوم الرياضية التي نبه ابن خلدون (٧٣٢م، ٨٠٨هـ) إلى أهميتها لم يزل إلا بتأكد الحاجة إليها في عهد الثورة العلمية والتقنية، وأن نشاط الكتاتيب لم يكن في أغلب الأحوال وفي عامة بلاد المغرب العربي بعد استقلالها، أثرى مما ضبطه القابسي في القرن الرابع للهجرة، لجاز لنا اعتبار الفقيه المريني بما دعا إليه من تنوع في مواد الدراسة ومنها الحساب، من أوائل وأبرز الذين نادوا بتربية متكاملة للمقومات والأبعاد تجذر الأجيال الناشئة في واقعها، وتشحذ عزمها على تطويره في الاتجاه الأفضل والأبقى (أطلس، ١٩٥٧: ١٤٤).

وفي ضوء ذلك يعد القابسي بحق نموذجاً تربوياً نهضت في عصره القرن الرابع الهجري.

التوصيات:

بناء على ما تقدم توصي الدراسة بما يلي:

تنشئة الأطفال منذ الصغر على حب الدين والتعامل معه، وأن يسلكوا سلوكاً دينياً في كل شؤون حياتهم داخل المدرسة وخارجها، مقتدين بمعلميهم، لما للقدوة من أثر كبير على سلوك الأطفال، على أن يكون المرين منشئين تنشئة إسلامية صالحة، كما كان الحال لدى أسلافهم المسلمين.

أن تنبثق سياسات تكوين وإعداد المعلمين وأساتذة التعليم العالي في إطار أركان فلسفة دينية اجتماعية تحكم مسار التعليم وتضبط مخططاته، وعدم الاقتصار على المقررات الدينية وحدها أو العملية وحدها، إذ أن المقررات العلمية تدعم الاتجاه الديني في النفوس، وتعمق الشعور الديني والإيمان بعظمة الكون وخالق هذا الكون.

أن يربى التلاميذ تربية متكاملة تتناول جوانب شخصية المتعلم الجسمية والروحية والعقلية والاجتماعية والأخلاقية والوجدانية والروحية.

تشجيع الطرق الإسلامية القديمة في التعليم من مناظرة، ومحاورة وتعليم ذاتي ومراعاة للفروق الفردية، والابتعاد عن التلقين والمحاضرة ما أمكن.

الاهتمام بطبيعة العلاقة الأبوية التي أشار إليها القابسي في رسالته بين المربي والمربي وتقويتها بحيث تكون علاقة أبوة روحانية وأخوة إيمانية، فكما أن الأب سببا في وجود الطفل فإن المعلم يغذي النفس بالعلوم ويربيها بالمعارف ويهيئها طريق التعليم واللذة والسرور.

استفادة النظم التربوية الحالية في البلدان العربية والإسلامية من الآراء التربوية للقابسي في أقطاب العملية البيداغوجية (المربي والمربي، والمحتوى والمحيط الذي يمارس داخله المحتوى التربوي)، والتي تمخضت عن نماذج تربوية إسلامية نهضوية كما كان الحال في عصور الازدهار الإسلامي، أي نظام إسلامي تربوي كلي، يحيط بكل ما يقتضيه نمو الإنسان المتكامل عقليا ووجدانيا وخلقيا ويشكل اتجاهاته الأساسية نحو الإنسان ونحو العالم وما فيه من أشياء ومؤسسات وتنميتها.

أن يتضمن برامج إعداد المعلمين إضافة إلى ما سلف متطلبات التطور العلمي والتكنولوجي الذي يمكن المعلم من القيام بأدواره الوظيفية كموجه إلى مصادر المعرفة، ومنسق لمواد التعليم ومنظم لأساليبه، ومهندس لتكنولوجيا تعليمية، ومقوم لاكتسابات المتعلمين ومثير للدافعية الذاتية والقابلية

التربوية، ومكيف لجو غني بالخبرة الإنسانية والتفاعل الاجتماعي ومستخدم للنماذج والنظم والتعليم
المصغر والمبرمج وأساليب التعليم الذاتي والتربية المستمرة.

قائمة المراجع والمصادر

أ) المراجع العربية:

- أبو حلو، يعقوب، مرعي، توفيق (١٩٩٥) العلوم الاجتماعية وطرائق تدريسها، منشورات جامعة القدس المفتوحة.
- ابن عاشور، محمد الفاضل (١٩٦٥) أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي، مطبعة النجاح، تونس.
- أطلس، محمد أسعد (١٩٥٧) التربية والتعليم في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- الأهواني (١٩٧٥) التربية في الإسلام، القاهرة.
- بشارة، جبرائيل (١٩٨٦) تكوين المعلم العربي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- الجبالي، محمد عزيز (١٩٧٧) المعين في مصطلحات الفلسفة والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، ليبيا.
- جلال، سعد (١٩٧٧) المرجع في علم النفس، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- دسوقي، كمال (١٩٧٩) النمو التربوي للطفل المراهق، دروس في علم النفس الارتقائي، دار النهضة بيروت.
- الرشيدان، عبد الله (١٩٩٤) تطور المهنة التعليمية والإعداد المهني لمعلمي الصغار وأساتذة الكبار عند المسلمين وأثره في التعليم المعاصر، مؤته للبحوث والدراسات، التربية، جامعة مؤته، الأردن.
- الزعبي، طلال، والألوسي، صائب (٢٠٠٢) التدريس الإبداعي، دار المنهل، عمان، الأردن.

- الطيطي، محمد عيسى (٢٠٠٧) التربية الاجتماعية وأساليب تدريسها، دار عالم الثقافة، عمان، الأردن.
- عبد الدائم، عبد الله (١٩٧٣) التربية عبر التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- عبد الهادي، نبيل (٢٠٠٤) سيكولوجية اللعب وأثرها في تعليم الأطفال، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- عبد الوهاب، حسن حسني (١٩٧٢) كتاب آداب المعلمين لمحمد بن سحنون، ط٢، تونس.
- عبد الوهاب، حسن حسني (١٩٦٥) ورقات. ج١، مكتبة المنار، تونس.
- عبيد، أحمد حسين (١٩٧١) في فلسفة إعداد المعلم وتنظيمه، مجلة الجامعة المستنصرية، بغداد، العدد ٢.
- عفيفي، محمد الهادي (١٩٨٢) فلسفة إعداد المعلم في مجتمع عربي جديد، بحث مقدم لمؤتمر إعداد وتدريب المعلم العربي، القاهرة.
- العليوي، أبو القاسم (١٩٨٠) القابسي ومواقفه التربوية، تونس.
- النشواتي، عبد المجيد (١٩٨٤) علم النفس التربوي، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، الأردن.
- النعيمي، عبد الله الأمين (١٩٨٠) المناهج وطرق التدريس عند القابسي وابن خلدون، طرابلس، ليبيا.
- الهويدي، زيد (٢٠٠٤) الإبداع، ماهيته اكتشافه، دار الطالب الجامعي، العين، الإمارات العربية المتحدة.
- القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٤، التربية في الإسلام والتعلم في رأى القابسي.

ب- المراجع الأجنبية:

- Bowen, J., A., (1972) History of Western Education, VI. Methuen and co. Ltd., London: pp. 32-33.
- Ellis, H. C. (1978) Fundamentals of Human Learning, Memory and cognition, Dubuque, Iowa, Wm. C. Brown Company Publishers.
- Oldfield, Bernarol (1991) Game In The Learning of Mathematics, Mathematics In School, 20 (3) 61-18.